ومن هنا، كان هناك، دوماً، قدر من الاجماع والاتفاق بين دول الطوق، وان بصورة ضمنية، على ضرورة اضعاف المنظمة، والحد من تعاظم نفوذها. وفي السياق العام لهذا التحول ينبغي النظر الى الحروب الثلاث المتعاقبة، التي خاضتها م.ت.ف. في مواجهة جيوش الاردن ولبنان وسوريا، على مدار أقل من عقد واحد من السنين؛ وهي الحروب الثلاث التي توجت، في صيف العام ١٩٨٢، بحرب رابعة؛ ولكن هذه المرة في مواجهة اسرائيل، بعد ان عجزت الحروب الاهلية العربية عن اقتلاع شوكة م.ت.ف. منذ ان افتتح مسار هذه الحروب العاهل الاردني في خريف العام ١٩٧٠.

ايلول الاسود

وجد العاهل الاردني نفسه، غداة حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، في الوضع الاكثر حراجة بين جميع الزعماء العرب الآخرين. فعلى الرغم من انه دخل الحرب مع اسرائيل مضطراً، حتى لا يتهم، من جانب الدول العربية، بالتواطؤ مع اسرائيل، وبالتالي يجازف بدفع الثمن الذي قد يكون الاطاحة بعرشه، الا ان النتيجة التي اسفرت عنها الحرب، لم تكن تغير من حقيقة التهديدات التي ظلت تتربص بالنظام الهاشمي، فيما بعد. فبعد مرور شهور قليلة من انتهاء القتال، استيقظ العاهل الاردني على الحقيقة المرة، بعد قيام اسرائيل باحتلال الضفة الغربية، والتهديد الذي باتت حركة المقاومة الفلسطينية تمثله في الضفة الشرقية. كما أدرك العاهل الاردني ان في عودة الصراع الى اصوله بين الفلسطينيين الذين باتوا يملكون زمام امورهم بأيديهم، واسرائيل، سوف يقضي، عاجلاً أم آجلاً، على حظوظ الاردن في ان يستمر في احتكار حق النطق باسم الفلسطينيين، أو التأثير في مسار التطورات المقبلة. وهكذا كان في صلب الاستراتيجية الاردنية، منذ ذلك الوقت، هدفان اساسيان: الاول يتمثل في السعي الى احباط مفاعيل التأثير المتعاظم لـ م.ت.ف. داخل حدود الاردن، من أجل المحافظة على استقرار وبقاء نظام الحكم، وذلك في ضوء عاملين رئيسين يساهمان في قابلية النظام للعطب: الضعف الديمغرافي، من جهة، حيث الارجحية تميل الى صالح الفلسطينيين؛ وهشاشة شرعية نظام الحكم وقاعدته التمثيلية، من جهة أخرى[١٩]. والثاني يتمثل في تأمين الاستمرار في احتكار حق التمثيل الفلسطيني، والحؤول دون نجاح م.ت.ف. في تغيير الاسس التي كانت قائمة قبل العام ١٩٦٧، وذلك بايجاد الوسائل لابقاء الضفة الغربية المحتلة، ضمن نفوذ وسيطرة الاردن سياسياً، وابعاد نفوذ م.ت.ف. منها.

لقد ادرك الملك، منذ البداية، الترابط الوثيق الذي يجمع بين هذين الهدفين، وصعوبة الفصل بينهما. فالنجاح في اقتلاع شوكة م.ت.ف. من الاردن هو المدخل الى تحرير ارداة الاردن في جهوده لاعادة الوضع الى ما كان عليه قبل العام ١٩٦٧. أما الفشل في تحقيق أي من الهدفين، فربما يترتب عليه القضاء على آخر موقع للسلالة الهاشمية، فيما اذا نجحت المنظمة، على الاقل، في ربط مصير الضفة وغزة بنفوذها السياسي. وهو ما يعني، أيضاً، احتمال بقاء المخاطر والتهديدات للنظام الهاشمي قائمة[٢٠]. وهكذا بدا ما توجس منه العاهل الاردني ذات يوم، من رؤية انبثاق م.ت.ف. مستقلة، غير خاضعة للوصاية، حقيقة واقعة. ولم يكن هناك وقت كثير لكي يبدده الملك وهو يرى ثقل المنظمة يتعاظم يوماً بعد يوم.

ولم يحل المناخ السياسي المؤيد للمنظمة، اعلامياً، في العالم العربي، دون ان يقوم الملك بحسم العلاقة مع م.ت.ف. من خلال الوسائل العسكرية. ولكن قلّة في الدوائر الاميركية والغربية رأت، عشية الصدام بين الجيش الاردني ومقاتلي م.ت.ف. في عمان ، خريف العام ١٩٧٠[٢١]، ان النظام